فقصايد الشعر فسمي ابتداء الكلام نسيبا وان لم يكن فيه ذكر الشباب من نسيب اي وصف
الجمال او غيره كالادب والافتخار والشكاية وغير ذلك الى المقصود مع رعاية الملائمة
بينهما اي بين ما شبب به الكلام وبين المقصود واحترز بهذا القيد عن الاقتضاب
وقوله التخلص اراد به المعنى اللغوي والا فالتخلص هو الانتقال مما افتتح به الكلام
الى المقصود مع رعاية المناسبة وانما كان التخلص من المواضع التي ينبغي ان يتانق
فيها لان السامع يكون مترقبا للانتقال من الافتتاح الى المقصود كيف يكون فاذا كان حسنا
متلائم الطرفين حرك من نشاط السامع واعان على اصغاء ما بعده والا فبالعكس والتخلص
قليل في كلام المتقدمين واكثر انتقالاتهم من قبيل الاقتضاب واما المتاخرون فقد
لهجوا به لما فيه من الحسن والدلالة على براعة الشاعر كقوله اي قول ابي تمام في عبد الله
بن طاهر يقول في قومس اسم موضع قومي وقد اخذت منا السرى اخذ منه اي اثر فيه
ونقصه والسرى مصدر سريت اذا سرت ليلا ويقال سرينا سرية واحدة والاسم
السرية بالضم والسرى وبعض العرب يؤنث السرى والهدى وهم بنو اسد توهما
انهما جمع سرية وهدية لان هذا الوزن من ابنية الجمع وبعض المصادر كذا في الصحاح
وخطى المهرية القود الخطى جمع خطوة وهي ما بين القدمين والمهرية المنسوبة الى
مهرة بن حيدان ابي قبيلة تنسب اليها الابل المهرية والقود الطويلة الظهور والاعناق
والواحد اقود اي يقول قومي والحال انه قد اثرت السرى ومسايرة المطايا بالخطى
قد اثرت حسنا ونقصت من قوانا فقوله وخطى المهرية عطف على السرى لا على قوله
منا فمعنى ان السرى اخذت منا واخذت خطى الابل علينا اتؤم ومقول قومي قوله
امطلع الشمس تبغي ان تؤم بنا فقلت كلا ودع للقوم وبنيه ولكن مطلع الجود
واحسن التخلص ما وقع في بيت واحد كقول ابي الطيب نودعهم والبين فينا كانه قنا
ابن ابي الهيجاء في قلب فيلق وقد ينتقل منه اي مما شبب به الكلام الى ما لا يلائمه ويسمى
ذلك الانتقال الاقتضاب وهو الاقتطاع والارتجال وهو اي الاقتضاب مذهب العرب
الجاهلية ومن يليهم من المخضرمين بالخاء والضاد المعجمتين وهم الذين ادركوا الجاهلية

والاسلام



والاسلام مثل لبيد قال في الاساس ناقة مخضرمة جدع نصف اذنها ومنه المخضرم الذي
ادرك الجاهلية والاسلام كانما قطع نصفه حيث كان في الجاهلية والاقتضاب
وقد يجري عليه اي على مذهب العرب والمخضرمين لكن الشعراء الاسلامية ايضا قد يتبعونهم
في ذلك ويجرون على مذهبهم وان كان للاكثر منهم التخلص كقوله اي كقول ابي تمام
وهو من الشعراء الاسلامية في الدولة العباسية لو راى الله ان في الشيب خيرا
جاورته الابرار في الخلد شيبا جمع اشيب وهو حال من الابرار ثم انتقل من هذا الكلام
الى ما لا يلائمه فقال كل يوم تبدي صروف الليالي خلقا من ابي سعيد غريبا ومنه اي
من الاقتضاب ما يقرب التخلص في انه يشوبه شيء من الملائمة كقوله بعد حمد الله
اما بعد فاني قد فعلت كذا وكذا فهو اقتضاب من جهة انه قد انتقل من حمد الله
والثناء عليه الى كلام اخر من غير رعاية ملائمة بينهما لكنه يشبه التخلص
من جهة انه لم يؤت بالكلام الاخر فجاءة من غير قصد الى ارتباط وتعليق بما قبله
بل اتى بلفظ اما بعد اي مهما يكن من شيء بعد حمد الله فاني فعلت كذا وكذا قصدا
الى ربط هذا الكلام بما سبق عليه قيل وهو اي قوله بعد حمد الله اما بعد فصل الخطاب
قال ابن الاثير والذي اجمع عليه المحققون من علماء البيان ان فصل الخطاب هو اما
بعد لان المتكلم يفتتح كلامه في كل امر ذي شان بذكر الله وتحميده فاذا اراد ان يخرج
منه الى الغرض المسوق اليه فصل بينه وبين ذكر الله تعالى بقوله اما بعد ومن الاقتضاب
الذي يقرب من التخلص ما يكون بلفظ هذا كقوله تعالى بعد ذكر اهل الجنة هذا وان
للطاغين لشر مآب فهو اقتضاب فيه نوع ارتباط لان الواو للحال ولفظ
هذا اما خبر مبتدا محذوف اي الامر هذا او مبتدا محذوف الخبر اي هذا كما ذكر وقد
يكون الخبر مذكورا مثل قوله تعالى هذا ذكر بعد ما ذكر جمعا من الانبياء واراد ان يذكر عقيبه
الجنة واهلها هذا ذكر وان للمتقين لحسن مآب قال ابن الاثير لفظ هذا في هذا المقام
من الفصل الذي هو احسن من الوصل وهي علاقة وكيدة بين الخروج من كلام الى كلام
اخر يعني ذلك من فصل الخطاب الذي هو احسن موقعا من التخلص ومنه

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)